جرائم الحرب الأمريكيّة في العراق

■ د. صفوان ناصيف النّدّاف[1]

ملخّص

يمثّل التّدخل الأمريكيّ في قضايا العراق، منذ حربي الخليج الأولى والثّانية، وصولاً إلى مرحلة الاحتلال العسكريّ المباشر، دعوة للتّفكير في العواقب المأساويّة، والطّويلة الأمد للحرب في هذا البلد، وبشكل خاصّ الجرائم والفظاعات، الّتي ارتكبها الجيش الأمريكيّ بحقّ العراقيّين. وعلى الرّغم من أنّ التّدخّل الأمريكيّ، جاء تحت شعارات رنّانة، مثل إرساء الدّيمقراطيّة، وحقوق الإنسان، وتخليص العراق من أسلحة الدّمار الشّامل، إلا أن الغزو بقيادة الولايات المتّحدة الأمريكية، لم يحمل فعليًّا للعراق سوى الفوضى، والعنف، والموت، وكلّ أشكال الدّمار. لقد استباحت الحرب موارد العراق، وأغرقته في عدّة أزمات خانقة مهّدت لخرابه، وهو البلد الّذي شكّل خطرًا استراتيجيًّا على مصالح الولايات المتّحدة وحليفتها إسرائيل، وجعلت الحرب من التّوترات الطّائفيّة بين المسلمين السّنة والشّيعة، وقوداً للانقسام السّياسيّ والعنف والتّطرّف. هذا التّدمير الممنهج أدّى إلى انقسامات خطيرة في المجتمع العراقيّ، وأصبحت الهجمات الإرهابيّة روتينًا يوميًّا، شلّ الحياة في العراق ودمّر كلّ أشكال النّموّ والتّطوّر، ومازال العراق يعاني، من عواقب التّدخل الأمريكي حتّى يومنا هذا.

الكلمات المفتاحية: حرب الخليج الثّانية - حرب الخليج الثّالثة - عاصفة الصّحراء - مجزرة طريق الموت - اجتياح الكويت - الوحشيّة الأمريكيّة.

1 - عضو هيئة تدريسيّة في كليّة الآداب، قسم التّاريخ، جامعة دمشق.

مقدّمة

شكّل النّفط منذ اكتشــافه في مناطق الشّرق الأوسط، مطمعًا للعديد من الدّول الكبرى، وفي مقدمتها بريطانيا والولايات المتَّحدة الأمريكيّة، ووضعت هذه القوى الدّول النّفطيّة، على خرائط مصالحها الاقتصاديّة والسّياســيّة، لاســيما الدّول الأعضاء المؤسّسين لمنظّمة "الأوبك"، إيران والعراق، والكويت، والمملكة العربيّة السّــعوديّة، وفنزويلا؛ في هــذه الدّول يوجد 80.4% من احتياطيّات البترول المؤكّدة في العالم، وبالتّالي شــكّلت هذه الــدّول هدفًا جوهريًّا للإمبريالية الأمريكيّة خلال النّصف الثّاني من القرن العشرين، وازداد الاهتمام الأمريكيّ في هذه المناطق، ونجحت دبلوماسيتيها في تطويع العديد من الدّول النّفطية في العالم، بما يخدم مشاريعها القريبة والبعيدة. لكن إيران والعراق لم تنسحب عليهم هذه المخطّطات، وبقيتا خارج العباءة الأمريكيّة، فكان لزامًا على إمبراطوريّة القهر، إيجاد خطط بديلة لتحقيق مصالحها، فجاءت حروب الخليج الثّلاثة الّتي انتهت باحتلال العراق، واستباحة ثرواته حسب شروط اللّعبة الأمريكيّة.

1 - حرب الخليج الأولى

حرب الخليج الأولى أو الحرب العراقيّة الإيرانيّة، أو ما عرف باسم "قادسية صدام"، حسب التســمية العراقيّة، أو "الدّفاع المقدّس" كما ســمّاها الإيرانيّون[1]. هي الحرب الّتي نشبت بين العراق وإيران بين عامي 1980 - 1988م. وقد أثَّرت الحرب على المعادلات السّياســية لمنطقة الــشّرق الأوســط، وكان لنتائجها بالغ الأثر في العوامــل، الّتي أدّت إلى حــربي الخليج الثّانية والثّالثة.

1 - القصاب، ع. (2014)، ص 22.

أيضا: دار الكتب والوثائق العراقيّة ابحث في الفهارس نسخة محفوظة 12 يونيو 2018 على موقع واي باك مشين.

2 - حرب الخليج الثّانية

كان فشـل صدّام في غزو إيران، وما ترتّب عليه من تردّي للأوضاع الاقتصاديّة في العراق، أوّل سبب لتطلّعه إلى غزو الكويت، للتّعويض عن تراكم الدّيون، والخسائر الفادحة في حربه الفاشلة ضدّ إيران. إذ اتّهم صدّام حسين الكويت، بتعمّد تخفيض أسعار النّفط ،عبر ضخّ كميّات أكبر من حصّتها من النّفط، من الحقول النّفطيّة المشتركة بينهما، وهو الأمر الّذي اعتبره مبادرة استفزازيّة، لطالما أدّت إلى انخفاض أسـعار النّفط العالميّ، وإلى خسارة العراق - الّذي يعتمد في 90% من وارداته على النّفط -لحوالي سـبع مليارات دولار سـنويًّا- في توقيت حسّـاس جدًّا، لاسيّما بعد خروج العراق من حربه على إيران التي استنزفت طاقات العراق[1]. وعندما رفضت الكويت إلغاء ديون الحرب العراقيّة[2]، قرّر صدّام حسين غزوها[3]، لكن صدّام، كان بحاجة إلى ذرائع أمام الرّأي العام العالمي، فاتّهم الكويت بسرقة النّفط العراقيّ، عن طريق نصب أبراج متطوّرة داخل أراضيها، على الحدود مع العراق؛ تقوم بالحفر بالطّريقة المائلة، وتسحب النّفط الخامّ العراقيّ من المكامن النّفطيّة العراقيّة الحدوديّة، عدا عن اعتباره أنّ الكويت تاريخيًّا جزء من الأراضي العراقيّة[4].

أ- الدّور الأمريكيّ في دفع العراق نحو الهاوية الكويتيّة.

بعد أن تمّ استخدام الرّئيس العراقيّ (صدّام حسين)، من قبل الولايات المتّحدة الأمريكية في حربها بالوكالة ضدّ إيران، لمدّة تجاوزت ثمان سنوات، بحجّة واهيّة تلخّصت، في حماية البوابة الشّرقيّة للوطن العربيّ. زجّ الدّيكتاتور العراقيّ جيش بلاده، في حرب جديدة ضدّ الكويت، كانت نتائجها الكارثيّة أشدّ فداحة على مستقبل العراق والعراقيين لسنوات طويلة.

ففي خِضَمّ هذه الأحداث، كان لابدّ للولايات المتّحدة الأمريكية ،من إكمال تنفيذ مخطّطها بجـرّ العراق إلى حروب عبثيّة، فعمدت إلى تشـجيع الدّكتاتور العراقـيّ على غزو الكويت، عن طريق تصريحها على لسان السفيرة الأميركية في بغداد (أبريل غالاسبي) بأنّ: "الولايات المتّحدة

1 - سالنجر، ب. و لوران، أ. (1993)، ص 8.

2 - لا يستبعد أبدًا، أن يكون للأمريكيّين يد، في رفض الكويت إلغاء الدّيون العراقيّة، كجزء من خطّة توريط العراق بحرب جديدة.

3 - الخالديّ، و. (1991)، ص 9.

4 - طلاس، م. (1994)، ص. ص. 31-30.

ليس لها رأي بشأن الخلافات العربيّة العربيّة"، وهو التّصريح الّذي اعتبره (صدّام حسين)، بمثابة ضوء أخضر لتنفيذ خطّته المرسومة ضدّ جيرانه الكويتيّين[1]، ولأنّ الرّجل كان يعاني من قصر نظر سياسيّ، نجحت خطّة «العصا والجزرة»، وبدأت حرب الأشقّاء على مرأى من المُشاهِد الأمريكيّ، إلى أن يحين موعد التّدخّل العسكريّ المخطّط له بدقّة.

وعلى الرّغم من أنّ (صدّام حسين)، لهث وراء "الجزرة" الأمريكيّة، في حربه مع إيران ودفع ثمنًا باهظًا، إلّا أنّ تهوّره السّياسيّ، فوّت عليه فرصة الاستفادة من دروس الأمس، ودفعه إلى نفس الخطأ للمرّة الثّانية. ونفس الرّجل الّذي خاض حربًا ضدّ إيران -بالوكالة عن أمريكا- لمدّة ثمانية أعوام، أعاد نفس الحماقة بغزو الكويت، بعد أن استغلّت الولايات المتّحدة طموحه التّوسعيّ، لتقوده إلى حرب جديدة ضدّ جيرانه المسالمين، تلك الحرب الّتي ستمهّد لفرض حصار قاسٍ على العراق سبّب مأساة إنسانية كبيرة، دامت سنوات عدّة، انتهت بالغزو الأميركي للبلاد عام 2003م، والإطاحة بنظام (صدّام) ،والقضاء على أكبر جيش عربيّ، شكّل يومًا ما خطرًا على مصالح الولايات المتّحدة، وحلفائها في المنطقة.

لقد اقتضت الخطّة الأمريكيّة المحبوكة بعناية، استنجاد الكويت بحليفها الأمريكي ليخلصها من براثن (صدّام حسين)، وهذا التّحالف "الكويتي – الأمريكي" كان معروفًا للجميع[2]، فردّة الفعل الأمريكيّة لم تكن بحاجة إلى ذكاء سياسيّ، لأنّ العلاقات والمصالح بين الطّرفين توطدت منذ أزمة ادّعاء (عبد الكريم قاسم)، تبعيّة الكويت للعراق عام 1961م[3]، حينها وقف الأمريكيون في وجه ذلك الادّعاء العراقيّ، ثمّ تطوّرت العلاقات فيما بعد، عندما طلب زعماء الكويت عام 1986م من الولايات المتّحدة، رفع العلم الأمريكيّ على السّفن، الّتي تحمل النّفط الكويتيّ لتأمين الحماية لها، إضافة إلى استئجار الكويت ناقلات نفط أمريكيّة، لاستخدامها في نقل منتجاتها النّفطيّة إلى العالم. وشكّلت هذه الخطوة قفزة في العلاقات الإستراتيجية، بين الكويت والولايات المتّحدة، وزادت من قوّة العلاقات بين الجانبين[4]، وبالتّالي لم يكن متوقّعًا أن تتخلّى الولايات المتّحدة، عن مصالحها الاقتصاديّة مع حلفائها الكويتيّين.

1 - العفنان، س. (1991)، ص 109.
2 - سالنجر، ب. ولوران، أ. (1993)، ص64.
3 - الخالديّ، و. (1991) ص 6.
4 - الرحمن، ح. (1999)، ص296.

ب- الاجتياح العراقيّ للكويت.

في الثّاني من آب من عام 1990م، اندفعت القوّات العراقيّة عبر الحدود إلى الكويت، وسيطرت على مدينة الكويت العاصمة، وتغلّبت القوّات العراقيّة سريعًا، على القوّات الكويتيّة صغيرة العدد نسبيًا، وغادر الشّيخ (جابر الأحمد الصّباح) أمير الكويت الأسبق إلى السّعوديّة. وزعم الرّئيس العراقيّ (صدّام حسين)، أنّ الغزو جاء تأييدًا لانتفاضة شعبيّة وشيكة ضدّ أمير الكويت، وذلك ضمن سلسلة الادّعاءات الكاذبة في حربه المتهوّرة، لكنّ تصفية الكويتيّين، الّذين وقفوا ضدّ الاعتداء العراقيّ، أظهر زيف تلك المزاعم[1].

ت- التّحالف الدوليّ بقيادة الولايات المتَّحدة.

شكّلت الولايات المتَّحدة الأمريكيّة، تحالفًا دوليًّا شمل أكثر من30 دولة، يتضمّن 750 ألف جندي (75 % منهم أميركيون)، و3600 دبابة، و1800 طائرة، و150 قطعة بحرية[2]، وهو ما يخالف تماما "الوعد المبطن"، الّذي قدّمته السفيرة الأمريكيّة للرّئيس العراقيّ، وفُرضت عقوبات اقتصاديّة على العراق، وطالب مجلس الأمن القوّات العراقيّة، بالإنسحاب من الأراضي الكويتيّة دون قيد أو شرط.

لم يستجب (صدّام حسين) للنّداءات الدّولية، بضرورة الانسحاب من أراضي الكويت، فاستعدّت الولايات المتَّحدة وبريطانيا للحرب، وبدأت عمليّة تحرير الكويت من القوّات العراقيّة في 17 كانون الثّاني سنة 1991م، بعد انتهاء المهلة الّتي أعطيت للعراق، وحقّقت العمليات نصرًا مهّد لقوات التّحالف الدّخول إلى أجزاء من العراق، وتركّز الهجوم البريّ والجوّيّ على الكويت والعراق وأجزاء من المناطق الحدوديّة مع السّعوديّة، وقامت القوات العراقيّة بالردّ، عن طريق إطلاق عدد من صواريخ «سكود» على إسرائيل، والعاصمة السّعوديّة الرّيّاض. لكن الإنزال الدّوليّ بقيادة الولايات المتَّحدة، ضاعف حجم قوّاته في أراضي العربيّة السّعوديّة[3]، ما اضطر (صدام) بعدها إلى اتّخاذ قرار الانسحاب في 26 شباط 1991م.

---

1 - طلاس، م. (1994)، ص60.

2 - CNN.com In-depth specials - Gulf War». CNN. 2001. مؤرشف من الأصل في 19-12-2008.

3 - طلاس، م. (1994)، ص.ص. 76-73.

ث- حادث "ملجأ العامريّة"

قبل الانسحاب، وفي يوم 13 شباط من عام 1991م، وقع حادث "ملجأ العامريّة" في بغداد، الّذي هزّ التّحالف الدّوليّ، وأبرز بشاعة الخسائر البشريّة لعمليات عاصفة الصحراء. فقد تم إطلاق قنبلتين موجّهتين باللّيزر، من مقاتلة أمريكية من طراز «الشّبح»، على ملجأ تحت الأرض كانت قوّات التّحالف، تظنّ أنّه أحد مراكز قيادة الجيش العراقيّ. وكان الهدف من الهجوم هو إدخال القنبلتين، الّتي تبلغ زنة كلّ منهما تسعمائة كيلوغرام، إلى داخل الملجأ من خلال فتحات التّهوية، لكن إحداهما أخطأت هدفها، وانفجرت في موقع قريب، وأدّى انفجارها إلى سدّ مخرج المخبأ الوحيد[1].

القنبلة الثّانية اخترقت سقف المخبأ، وانفجرت وسط أكبر غرفة في الطّابق العلويّ منه، وقد أدّى الانفجار الثّاني، إلى مقتل 314 شخصاً بينهم 130 طفلاً. ولم تكن القيادة الجوّيّة لقوّات التّحالف تعلم أنّ مئات النّساء والأطفال، كانوا يستخدمون الملجأ للاحتماء من القصف الجوّيّ منذ بداية الحرب. وقد أصيب أهالي الضّحايا، ومعهم مشاهدو التّلفزيون في كلّ مكان في العالم، بصدمة عند رؤية الجثث المتفحّمة المنتشلة من داخل الملجأ. واستغلّت السّلطات العراقيّة الحادث إعلاميًّا، بأن سمحت لجميع فرق التّصوير التّابعة لمحطات التّلفزيون الغربيّة، بتصوير المشاهد الأليمة دون قيود[2].

ج- مجزرة طريق الموت.

جاء وقت الحسم في جريمة حرب فظيعة، أقدمت عليها القوّات الأمريكيّة، بحقّ القوّات العراقيّة المنسحبة من الكويت، في إبادة شاملة وغادرة للقدرات العسكريّة العراقيّة، كان هدفها إضعاف العراق بعد تجاوز نظامه لجميع الخطوط الحُمر.

ففي ليلة الـ26 من فبراير / شباط 1991م، وصلت القوّات العراقيّة المنسحبة من الكويت، إلى الطّريق السّريع رقم 80، الّذي يربط مدينة الكويت بمنفذ "العبدليّ" الحدوديّ، ومن هناك

1 - نايتس، م. (2019)، ص116.

2 - فطور بالمليارات يدفعه العراق.. تعرّف على «عاصفة الصّحراء»، الّتي أتت على الشّرق الأوسط، فغيرته للأبد، بغداد اليوم 3-8-2021، تمّ الاسترداد بتاريخ 8أيار، 2024 من (https://baghdadtoday.news/160556-.html،1،print:page).

إلى الطّريــق الرّابــط من "صفوان" العراقيّــة إلى "البصرة"، على امتداد هــذا الطّريق، وقعت أكبر وأبشع مجزرة ضدّ الجيش العراقيّ، والّتي عُرفت حينها بـ"مجزرة طريق الموت"، الّتي استُشهد وأُصيــب فيها، ما لا يقلّ عــن 10 آلاف جنديّ عراقيّ، وتعرّضت أكثر مــن 1500 مدرّعة عراقيّة للتّدمير الشّامل[1].

بــدأت وقائع تلك المجزرة، عندما بدأ الجيش العراقيّ الانســحاب مــن الأراضي الكويتيّة، متّجهًــا إلى "البصرة" امتثــالاً لقرار الأمم المتّحدة 660 [2]، وأثناء الانســحاب تــمّ تنفيذ الخطّة الانتقاميّــة بقيادة الأميركيّ (كولن باول)، رئيس هيئة الأركان المشــتركة، والّتي تقوم على ضرب المقدّمة والمؤخّرة، على طول الطّريق الممتدّ بين الكويت و"العبدليّ"، لإرباك وحصار الجيش العراقيّ أثناء انسحابه، الأمر الّذي خلق حالة من الازدحام الشّديد على الطّريق، حتّى وقعت تلك المدرّعات والأرتال العســكريّة في فخّ القوّات الأمريكيّــة، الّتي نفذت قصفها الوحشيّ وقامت بتدمير أرتال الجيش العراقيّ على طول الطّريق رقم 80، وإبادة جميع قوّات الجيش المنســحبة عــلى امتداد هذا الطريق[3]. وهو الأمر الّذي يُضاف إلى رصيد الولايات المتّحدة في عدد جرائم الحرب الّتي ارتكبتها عبر تاريخها.

استخدم طيران القوّات الأمريكية، في مجزرة طريق الموت، عددًا من الأسلحة الفتّاكة ضدّ قوّات الجيش العراقيّ المنســحبة، أبرزها :الذّخائر العنقوديّة، قذائف A-10، ذخائر مافريك، الذّخائــر الحارقة الموجَّهة باللّيزر، ذخائــر المنتقم[4]، كان الأمر مرعباً حقًّا، أشــلاء الجثث المتفحّمــة في كلّ مكان على امتداد طريق الموت، وكانــت جريمة انتقامية مكتملة الأركان، تخالــف كلّ العهــود والمواثيق الدّوليّة. لقد أكّد الوحش الأمريــكيّ في هذه الحرب، موقف الولايــات المتّحدة المســتعدّة دائماً لتجاوز كلّ المعايير الإنســانيّة، في ســبيل الحفاظ على مصالحها.

1 - إنفوبلاس: مجزرة طريق الموت، حرب غادرة خالفت المواثيق الدّولية، تمّ الاسترداد بتاريخ 8 أيار، 2024 من (https://www.infoplusnetwork.com/news/politics/)

2 - Joy, G. (2012). p.p. 23–24.

3 - نايتس، م. (2019)، ص.ص 144-142.

4 - إنفوبلاس: مجزرة طريق الموت حرب غادرة خالفت المواثيق الدولية، تم الاسترداد بتاريخ 8 أيار، 2024 من (https://www.infoplusnetwork.com/news/politics/)

تحدّثت الصّحفيّة الأمريكيّة -لبنانية الأصل- (جويس شدياق)، واصفةً ما حدث في مجزرة طريق الموت، خلال حديثها لمجلة "نيورك تايمز" عدد مارس 1991م، قائلة: «تعرّضت الشّاحنات لقصف شـديد، لدرجة جعلها تلتصق بالأرض، وكان من المستحيل التّعـرف بالنّظر إليها ما إذا كانت تحمل سـائقين أم لا، كما ذاب الزّجـاج الأماميّ لهذه الشّاحنات تماماً، وتـمّ اختزال دبابات ضخمة إلى مجرد خردة حديديّة، كما حاصرت الطّائرات الأمريكيّة القوافل الطّويلة عن طريق تعطيل المركبات من الأمام والخلف، ثمّ قصفت الاختناقات المروريّة الممّتدة على طول طريق الموت لساعات»[1].

لقـد تورّطت القوات العسـكريّة الأمريكيّة، في انتهاك القانون الـدولي، بإطلاق نيرانها على جنود عراقيّين كانوا منسحبين، وكان معظمهم من العزّل قبل وقف إطلاق النّار مباشرة. ووصف الطّيارون الأمريكيّون ذلك في تقارير إخباريّة بأنّه "إطلاق النّار على الدّيك الرّوميّ" و"مثل إطلاق النّار على سمكة في برميل". لم تكن المذبحة غير ضروريّة فحسب، بل كانت بشعة أيضًا[2].

مجلّة "التّايم" الأمريكيّة نشرت تقريرًا في عام الانسحاب، كشفت خلاله صراحة، وباعتراف عدد من الضّبّاط الأمريكيّين المشـاركين في حرب الخليج الثّانية، أن هدف الولايات المتّحدة لم يكن تحريـر الكويت في تلك المرحلة، بل كان تدمير قوّة العـراق الهجوميّة، الّتي جعلته يمثّل تهديدًا إقليميًّا. و أن هذا كان هو الهدف الحقيقي وراء الحرب، تدمير قوّة العراق العسكريّة، وإيقاع الجيش العراقيّ في حالة عجز تامّ، أمام مخطّطات الولايات وحليفتها إسرائيل في المنطقة.

وأضافت المجلّة بتقريرها الصّادر في 12 أغسطس / آب عام 1991م: "كان قدر كبير من تلك القـوّة الهجوميّـة العراقيّة -أي القوّة الّتي قـرّروا تدميرها- والّتي تتألّف مـن مركبات على طريق البصرة (طريق الموت 80)، يُقاد من قبل أفراد الحرس الجمهوريّ، وكان الحلفاء مصمّمين على عدم منحهم متنفّساً للانسحاب، أو إعادة تجميع صفوفهم لشنّ هجوم على الجيش الأمريكيّ".

ظهرت وحشيّة الأسلحة الأمريكيّة، باستخدام "النّابالم" لحرق الجنود العراقيّين المتحصّنين. لقد تمّ إسقاط متفجّرات الوقود والهواء، وهي أسلحة مروّعة يطلق عليها غالبًا "شبه أسلحة نوويّة" بسـبب قدرتها التّدميرية من خلال النّيران والاختناق والارتجاج. لقد تمّ إسقاط قنابل عنقوديّة،

1 - إنفوبلاس: مجزرة طريق الموت حرب غادرة خالفت المواثيق الدولية.

2 - فتزِل، حرب الحلفاء الأمريكية "العادلة!" على العراق، تم الاسترداد بتاريخ 8 مايو / أيار، 2024 من (https://almadayinpost.com/7639.html).

تستخدم شظايا حادّة لتمزيق النّاس. ولاختراق الدّبابات، استخدمت قذائف اليورانيوم المنضب، والّتي لا تُعرف آثارها الصحّيّة على المدى الطّويل. إنّ مفاهيم التّناسب وحماية المدنيّين المقبولة على نطاق واسع، تخرج من النّافذة مع استخدام هذه الأسلحة.

ح- صدّام والفخّ الأمريكيّ.

حتّى يومنا هذا، لا تزال العديد من الأسئلة، تبحث عن إجابات مقنعة حول أسباب عدم مبالاة (صدّام حسين)، بفترة الإنذار الدّوليّ الّتي انتهت يوم 15 كانون الثاني 1991م، لسحب قوّاته من الكويت، ومهما كانت الأسباب الّتي دفعت (صدّام حسين)، إلى التّعنّت برأيه والإصرار على عدم التّجاوب مع القرار الدّوليّ، فإنّ (صدّام) يعتبر أبرز المشاركين في الكارثة الّتي حلّت بجيش بلاده، لدرجة تجعل الباحث في حرب الكويت، يشكّ لِلَحظات أن (صدّام) حسين كان أحد رموز هذه المؤامرة، لشدّة تعنّته أمام الآلة العسكريّة الأمريكيّة، وعلى أقلّ تقدير وصل إلى منتهى الاستخفاف والاستهانة بفداحة وحجم الكارثة، الّتي تنتظر جيش العراق، وبخس العراقيّين عمومًا كلّ ما قدّموه لبلدهم، ولا شكّ أنّه يتقاسم مسؤوليّة الخراب الكبير، الّذي حلّ ببلده وشعبه مع الولايات المتّحدة، الّتي سهّلت خطّة دخول الجيش العراقيّ إلى الكويت.

لقد أشار (صدّام) نفسه إلى الفخّ، الّذي نصبته الولايات المتّحدة بتصريحه ليلة 16 ـ 1991/1/17م بقوله: «ولقد غدر الغادرون»، في إشارة منه إلى كذبة الموافقة الضّمنيّة، الّتي حصل عليها على لسان السفيرة الأمريكية (أبريل غالاسبي)، بأنّها ما كانت إلا فخًّا نصبه الأمريكيون له، خصوصًا أنّ مجلّة "فورين بوليسي" الأمريكيّة، ذكرت أنّ وزارة الخارجية الأمريكيّة أكّدت لصدّام في وقت سابق، أنّ واشنطن ليس لديها التزامات دفاعيّة خاصّة تجاه الكويت، ما يعني أنّ ما قامت به (أبريل غالاسبي)، كان جزءًا من مجهود منظّم للإيقاع بـ(صدّام)[1].

إنّ أهمّ حلقات مسلسل الخداع الأمريكيّ، يمكن ملاحظتها بوضوح في مجريات الحديث المطوّل، الّذي دار يوم 25 تموز1990 بين السفيرة الأمريكيّة (أبريل غالاسبي) و(صدّام حسين) عشية الغزو العراقيّ للكويت.

لقد جاء هذا اللّقاء بناء على طلب من الرّئيس العراقيّ نفسه، في الوقت الّذي كان واضحًا

1 - سالنجر، ب. ولوران، أ. (1993)، ص 79.

لجميع الأطراف، أنّ العراق مقدّم على عمل عسـكريّ ضدّ الكويت، وأن طلب الرّئيس العراقيّ لهـذا اللّقاء لا يمكن تحليلـه، إلّا في إطار الحصول على ضوء أخضر مـن الجانب الأمريكيّ، ويلاحـظ من مجريات الحوار -الذي تم تسريبه لاحقًا- أنّ (صدّام حسـين)، رغب في اسـتبيان الموقف الأمريكيّ، مع تلميح واضح إلى نيته في أن يكون حليفًا للأمريكيّين في المنطقة، وأسهب في الحديث عن مسألة الدّيون، وحقّ الشّعب العراقيّ في العيش بسلام وبحبوحة وكرامة، وأمله بأنّ تأخذ الولايات المتّحدة قرارًا صائبًا، بشأن علاقتها مع العراق وبناء روابط جيّدة، وأنّ العراق ينتظر مكافأة من أمريكا على موقفه في حرب الخليج الأولى.

وقد جاء ردّ (أبريل غالاسـبي)، بمجموعة من الرّسائل والتّلميحات، إن لم نقل التّصريحات الواضحة، لجهة عدم رضا الأمريكيّين، عن خفض سـعر النّفط من الجانب الكويتيّ، ودعمهم لقرار رفع أسـعار النّفط، وأشارت إلى ضرورة إعادة إعمار العراق، وبأنّ الولايات المتّحدة ليس لهـا أيّ آراء محدّدة فيما يتعلّق بالصّراعات العربيّـة، مثل النّزاع الحدوديّ مع الكويت،وإنّ هذه الخلافات ليست قضيتنا[1].

لقـد قدّمـت الولايات المتّحـدة الدّعم للعراق، خلال حـرب الخليج الأولى ضـدّ إيران ما بعد الثورة الإسـلامية الإيرانيـة[2]، وقدّمت بقيمة مليارات الدّولارات، العديد من المسـاعدات الاقتصاديّة وبيع التّكنولوجيا ذات الاستخدام المزدوج، والأسلحة من خارج الولايات المتّحدة، والاستخبارات العسـكريّة وتدريب العمليّات الخاصّة، واستخدمت وسطاء في جميع مبيعات الأسـلحة إلى العراق خلال الحرب[3]. كلّ هذا الدّعم الأمريكيّ جاء في سياق تسويق الأسلحة الأمريكيّـة من جهة وتدمير قوّة العراق بشـكل ممنهج ومدروس من جهـة أخرى، وذلك بزجّه بحروب عبثيّة تسـتنزف طاقاته، لكنّ حرب الخليج الأولى على الرّغم من أنّها أضعفت البلدان المتصارعان، اللّذان يشكّلان خطرًا على مصالح الولايات المتّحدة، إلّا أنّ ثمارها لم تكن كافية

1 - سالنجر، ب. ولوران، أ. (1993)، ص.ص. 81-78.

2 - رغم أنّ الولايات المتّحدة دعمت نظام الشّاه (رضا بهلوي) (1878 - 1944 م) وكانت أقرب الحلفاء لإيران، عندما كانت مصالحها مرتبطة مع نظام الشّاه الإيرانيّ، فإنّها تحوّلت بعد وصول الإمام (آية الله الخمينيّ) إلى الحكم عام 1979م، إلى أشدّ أعداء نظام الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران، لتخوض طهران من جهة، وواشنطن وتلّ أبيب من جهة أخرى ،منذ ذلك الوقت حربا أيديولوجيّة وإستراتيجيّة في آن واحد.

3 - Crile, G. (2004), p.p. 274-275.

للوحش الأمريكيّ، لذلك، سهّل الأمريكيّون غزو العراق للكويت، ومن ثمّة نصّبوا أنفسهم حماة للكويت. وبطبيعة الحال دفع الكويتيّون كلفة طرد الجيش العراقيّ خارج الأراضي الكويتيّة، وفي نفس الوقت دفعوا كلفة الغزو الأمريكيّ للعراق، لتكتمل الخطّة الأمريكيّة بغزو العراق، وتدمير مقدّراته والقضاء على جميع طموحاته الجيوسياسيّة القريبة والبعيدة، وبتمويل عربيّ إسلاميّ.

يظهر للباحث في العلاقات العراقيّة – الأمريكيّة، أنّ الأمريكيين استغلّوا إلى أقصى حدّ جنون العظمة عند (صدّام حسين)، ووجّهوا دفّة القيادة العراقيّة، بالشّكل الّذي يخدم مصالح أمريكا، فكانت الحرب العراقيّة الإيرانيّة 1980 - 1988م، ثمّ الحرب العراقيّة الكويتيّة 1990-1991م، ثمّ حرب الاجتياح الأمريكيّ للعراق 2003م، جاءت هذه الأزمات والحروب، بترتيب مدروس وهادف في زمن رئيس عراقيّ مختلّ، صاحب ردّات فعل مفهومة ومتوقّعة، وتزامن هذا مع دكتاتوريّة (صدّام) الّتي خنقت الأصوات في الدّاخل العراقيّ بالحديد والنّار، واختزلت القرار السّياسيّ لبلد غنيّ، وشعب طموح بشخصيّة دكتاتور غير متوازن. من الواضح أنّ الأمريكيين فهموا نفسيّة هذا الرّجل، واخذوا بمعطياتها وجرّوا العراق ومقدّراته إلى حيث أرادوا. لقد خدم هذا الرّجل المصالح الأمريكيّة أيّما خدمة، وسهّلت دكتاتوريته على الأمريكيين، جرّ العراق بكلّ مقدّراته إلى وحول المستنقعات الأمريكيّة، وتوجيه دفّة الصّراع بالاتّجاه الملائم، وبأقلّ التّكاليف والخسائر.

3 - حرب الخليج الثّالثة

أ- الحصار الاقتصاديّ

على الرّغم من توقّف إطلاق النّار، إلّا أنّ الحظر الاقتصاديّ، الّذي فُرض على العراق كان الأكثر إرهاقًا. ومن المفترض أنّ العقوبات الاقتصاديّة القاسية، تهدف إلى كبح جماح نظام (صدّام حسين)، إلّا أنّها لم تقتل سوى الأبرياء، ما يصل إلى أكثر من مليون شخص قتلوا على أثر الحصار الأمريكيّ، وفقا لدراسات الأمم المتّحدة[1].

لقد تركت العقوبات الاقتصاديّة الأمريكيّة، آثارها المأساويّة على العراق بعد غزوه الكويت، وكانت استكمالاً لتطويق العراق ونسف مقدّراته. واجه العراقيون خلال أعوام الحصار الّذي

1 - صالح، ص. (2010)، ص.ص. 112-110

استمرّ حتّى الغزو الأميركيّ للبلاد عام 2003م، معاناة إنسانيّة كبيرة بسبب حرمان البلاد من الموادّ الغذائيّة والأدويّة وأبسط وسائل التّكنولوجيا، ممّا تسبّب بوفاة مليون ونصف مليون طفل، وهجرة ثلاثة ملايين عراقيّ من نخبة المجتمع، كما تسبّب في انهيار مؤسّسات الدّولة العراقيّة[1].

باختصار، من المضلّل أن نسمّي حرب الخليج حربًا، لقد كانت مذبحة مروّعة بشعة جدًّا. وعلى حد تعبير الصّحفي البريطانيّ (جيف سيمونز)، الّذي درس الحرب بالتّفصيل، فقد كانت مذبحة جماعية لعدوّ عاجز إلى حدّ كبير، حيث حدث الكثير من عمليّات القتل، بعد الوقت الّذي كانت فيه الدّبلوماسيّة البنّاءة، ستضع حدًّا للحرب وإنهاء الصّراع.

ب- التّمهيد للغزو

بعد حرب الخليج الثّانية عام 1991م، وكجزء من اتّفاقية وقف إطلاق النّار، نصّ قرار مجلس الأمن التّابع للأمم المتّحدة رقم 687، على وقف برامج الصّواريخ العراقيّة الكيماويّة، والبيولوجيّة، والنّوويّة، وبعيدة المدى، وتدمير جميع هذه الأسلحة تحت إشراف اللّجنة الخاصّة للأمم المتّحدة. كان مفتشو الأسلحة التّابعون للأمم المتّحدة داخل العراق، قادرين على التّحقّق من تدمير كمية كبيرة من موادّ أسلحة الدّمار الشّامل، لكن القضايا الجوهريّة ظلّت دون حلّ في عام 1998م، عندما غادر المفتّشون العراق بسبب اعتقاد رئيس اللّجنة الخاصّة آنذاك (ريتشارد باتلر)، بأنّ الولايات المتّحدة والمملكة المتّحدة مُقْدِمَتان على عمل عسكريّ كان وشيكًا.

بعد وقت قصير من انسحاب المفتّشين، شنّت الولايات المتّحدة والمملكة المتّحدة، حملة قصف استمرّت أربعة أيّام في العراق. كما أصدر الكونغرس الأمريكيّ والرّئيس الأمريكيّ (بيل كلينتون) خلال هذه الفترة،قرارًا يدعو إلى تغيير النّظام في العراق[2]. بالإضافة إلى عمليات التّفتيش الّتي تقوم بها الأمم المتّحدة، انخرطت الولايات المتّحدة والمملكة المتّحدة (إلى جانب فرنسا حتى عام 1998م)، في نزاع منخفض المستوى مع العراق، من خلال فرض مناطق حظر طيران في شمال وجنوب العراق، غير مفوّضة من قبل الأمم المتّحدة. عُرفت هذه باسم عمليّة "توفير الرّاحة"، وعمليّة "توفير الرّاحة 2" ، ثمّ تلتها عمليّة المراقبة الشّمالية في كردستان العراق في

1 - صالح، ص. (2010)، ص 110.
2 - القصاب، ع. (2013)، ص 9.

الشّمال وعمليّة المراقبة الجنوبيّة في الجنوب، واعتبرتها الحكومة العراقيّة انتهاكًا لسيادة العراق.

تكثّفت التّحليقات قبل عام واحد من بدء حرب العراق، عندما بدأت الولايات المتَّحدة عمليّة التّركيز الجنوبيّ، من أجل تعطيل هيكل القيادة العسكريّة في العراق قبل الغزو[1].

لقد أكملت الولايات المتَّحدة، حلقات مسلسلها في تدمير العراق، والسيطرة على مقدراته، ومنعه من تشكيل أيّ خطر على مصالحها السّياسيّة والاقتصاديّة، وبشكل خاصّ أمن إسرائيل الطّفل المدلّل، بالسّيطرة على مقدّرات النّفط العراقيّ، وتوجيه أسواق النّفط العالميّة، بما يتماشى مع مصالحها القريبة والبعيدة، بعد أن ضمنت تشجيع جيران العراق الكويتيّين والسّعوديّين، الّذين أصبحوا ينظرون إلى بغداد، على أنّها مصدر الخطر الأعظم بدلاً من "تلّ أبيب".

وتمهيداً لحرب احتلال العراق، أصدرت الإدارة الأمريكيّة في أكتوبر 1998م، "قانون تحرير العراق"، الّذي نصّ على منح 97 مليون دولار لقوى المعارضة العراقيّة، لدعمها في إسقاط نظام صدّام حسين، لكن بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م، وإدراج اسم العراق في "محور الشّرّ"، بدأت الجهود الأمريكيّة بالتّحرك للإطاحة بحكومة (صدّام حسين). قدّمت إدارة الرّئيس الأمريكيّ (جورج بوش)، مجموعة تبريرات لشنّ حربها على العراق، والّتي تركّزت أساسًا على تأكيد أن العراق يمتلك أسلحة دمار شامل، وأنّ حكومة (صدّام) تشكّل تهديدًا كبيرًا، للولايات المتَّحدة ودول التّحالف وشعب العراق نفسه، وأنّه لا بدّ من إنّهاء قمع أحد أشرس الدّكتاتوريّين الظالمين، وتحقيق الدّيمقراطيّة لشعب العراق.

ت- العمليّات العسكريّة.

بدأت حرب الخليج الثّالثة في 20 مارس 2003م، بعد انقضاء 90 دقيقة على المهلة، الّتي أعطاها (جورج بوش) لـ(صدّام حسين) ونجليه لمغادرة العراق، وتسليم الحكم لسلطة انتقاليّة اقترحتها جامعة الدّول العربيّة، وحظيت بقبول الأمم المتَّحدة لتفادي الحرب[2]. لاقت الحرب

1 - القصاب، ع. (2013)، ص 15.

2 - لقد كان الإنذار الأمريكي لـ(صدّام حسين)، فرصة أخيرة لتجنيب العراق مآسي حرب جديدة، انتهت باحتلال العراق وفرض الهيمنة الأمريكيّة على جميع مقدراته. لاشكّ بأن الأمريكيّين، لم يكن لهم أن يتخلّوا عن تحقيق مصالحهم و أطماعهم في العراق، لكن كان من الممكن تجنيب العراق، والشّعب العراقي الكثير من ويلات الحرب.

دعم قوى عراقيّة مختلفة، متمثّلة في الشّيعة في الجنوب، والأكراد في الشّمال، لكن في المقابل واجهت رفضًا، من قوى عالميّة حليفة لواشنطن كفرنسا. وكانت العملياّت العسكريّة لإسقاط (صدّام) سريعة، وتميّزت بانهيار سريع للجيش العراقيّ في وجه القوّات الأمريكيّة وحلفائها، على عكس ما كان يتوقّعه (صدّام حسين)، الّذي توارى في جحور العراق بعيدًا عن أنظار الأمريكيّين خوفًا على حياته.

وبعد نحو ثلاثة أسابيع، وتحديداً في 9 أبريل 2003م، سقط حكم (صدّام حسين) الّذي استمرّ 24 عاماً، وفي 15 من الشّهر نفسه أعلنت القوّات المسلحة الأمريكيّة، بسط سيطرتها على جميع الأراضي العراقيّة[1].

ث- نتائج الغزو الأمريكيّ للعراق

لقد اختلفت التّقديرات للعدد الإجمالي لقتلى حرب الخليج الثالثة، فقد أفادت نتائج الدّراسة الّتي قدّمها معهد الاستطلاعات البريطانيّ عام 2007م، بأنّ عدد القتلى من العراقيين بلغ قرابة مليون شخص، أمّا منظمة الصّحّة العالميّة فقدّرت حصيلة القتلى العراقيين بين 104 آلاف و230 ألفاً، وهي تقديرات مقاربة لما أفادت به وثائق ويكيليكس المسرّبة عام 2010م، والّتي أشارت إلى مقتل 109 آلاف عراقي منذ بداية الغزو الأمريكيّ، في حين اعترف الجيش الأمريكيّ بمقتل 77 ألف عراقيّ بين كانون الثاني 2004م وآب 2008م، النّاتجة عن أعمال العنف الطّائفيّة الّتي عمّت البلاد.

لقد عمدت قوّات الاحتلال الأمريكيّة، بعد إحكام قبضتها العسكريّة، إلى تفتيت كيان الدّولة العراقيّة كليًّا، وحلّت الجيش والأجهزة الأمنيّة، وعطّلت المؤسّسات العامّة كافّة، واستولت على مصادر إنتاج النّفط ،وأباحت عمليّات القتل والسّلب والنّهب والتّدمير، في كلّ مؤسّسات الدّولة، بحيث لم تسلم من تلك الأعمال حتّى البنوك والمصارف، جميع ذلك تحت نظر القوّات الأمريكيّة بحجّة إعادة بناء الدّولة العراقيّة الجديدة وفقًا للتّصورات الأمريكيّة.

و تحت عنوان إعادة الاعمار، منحت العقود لعدد من الشّركات الأمريكيّة لتنفيذ مشاريع داخل العراق، تشمل بناء المدارس، وشقّ الطّرق، وإدارة قطاع النّفط، وتقديم المشورة للبنك المركزيّ

1 - الغزو الأمريكيّ للعراق تمّ الاسترداد بتاريخ 10 أيّار، (https://www.almasryalyoum.com/news/details/3126640)

العراقيّ، وتحت هذا السّتار دخلت شركات أمريكيّة كانت مَهمّتها الحراسة والأمن، ويقدّر عددها بنحو 35 شركة ،ووقعت عقودًا بما يزيد على مليار دولار[1].

لقد نظّم الأمريكيّون عمليّة تخريب الاقتصاد العراقيّ، وفق خطوات مدروسة وهادفة، ونَحَوا بالمجتمع العراقيّ إلى هاوية التّناقضات الاجتماعيّة، من إحياء للرّوابط العشائريّة، وإثارة النّعرات الطّائفيّة، وشلّ أيّ مشروع إصلاحيّ.

في 18 ديسمبر 2011م، أعلنت الولايات المتَّحدة أنّ جيشها أنهى انسحابه من العراق، وأنّ الانسحاب جاء، تطبيقًا للاتّفاقيّة الأمنيّة الموقّعة مع حكومة العراق عام 2008م[2].

إنّ الخدمة الوحيدة الّتي قدّمها العمّ سام للعراقيّين-خارج حسن النّوايا-، هي تخليصهم من الدّيكتاتور (صدّام حسين)، الّذي انتهك حقّ الإنسان العراقيّ بكلّ الطّرق والأساليب، وتعرّض الشّعب العراقيّ أثناء فترة حكمه، لجملة من أعمال القتل الجماعيّ والتّعذيب والاغتيال، نُفِذ أغلبها بدون محاكمات رسميّة أو علنيّة. وقد طالت عواقب جرائمه، جميع أطياف الشّعب العراقيّ، من شيعة وسُنّة، وأكراد، وأقليّات أخرى، وتوسّعت دائرة حماقاته، لتشمل الدّول المجاورة كالكويت وإيران.

خاتمة

لقد حرّكت الولايات المتَّحدة البيدق العراقيّ، على رقعة الشّرق الأوسط، مستخدمةً كلّ وسائل الخداع، ولعبت على طموحاته الممتزجة بالتّهور، فضربت به إيران أوّلًا، والكويت ثانيًا، والعراق نفسه ثالثًا، فأضعفت إيران وأجّلت أحلامها في استعادة بيت المقدس، وأضعفت الكويت وابتزّتها، وقضت على طموحات العراق ونهبت ثرواته. وهكذا فإنّ السّياسة الأمريكيّة تجاه العراق، لم تختلف عن سياستها تجاه أيّ من دول العالم المخالفة للتّوجّه الأمريكيّ، فالمصالح الأمريكيّة موجودة حيث توجد الأزمات، فإذا اختفت الأزمات لسبب أو لآخر، عملت

1 - صالح، ص. (2010)، ص.ص180-157.

2 - الغزو الأميركيّ للعراق، مبرّرات واهيّة ونتائج كارثيّة، المصدر: الجزيرة، تم الاسترداد بتاريخ 10 أيار، 2024 (https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2016/12/23)

السياسة الأمريكيّة على إيجادها. إنّها إمبراطوريّة الأزمات، ولدى القائمين على سياستها قناعة راسخة، بأنّ وجودهم وديمومتهم مرتبط بضعف الآخرين، والسّيطرة عليهم وسرقة مقدّراتهم.

قائمة المصادر والمراجع

اللّغة العربيّة

1. الخالديّ، و. (1991) "أزمة الخليج الجذور والنّتائج"، مؤسّسة الدّراسات الفلسطينيّة: مجلّة الدّراسات الفلسطينيّة، المجلد2، العدد5.

2. الرحمن، ح. (1999) حرب تحرير الكويت جذورها ومقوّماتها، شركة المطبوعات للتّوزيع والنّشر، ط1، بيروت.

3. سالنجر، ب. ولوران، أ. (1993) حرب الخليج الملفّ السّرّيّ، شركة المطبوعات للتّوزيع والنّشر، ط11، بيروت.

4. صالح، ص. (2010) آثار الاجتياح العراقيّ للكويت على العلاقات العراقيّة الأمريكيّة، جامعة الشّرق الأوسط للدّراسات العليا، ط1.

5. طلاس، م. (1994) حرب تحرير الكويت، دار طلاس للدّراسات والتّرجمة والنّشر، ط2، دمشق.

6. العفنان، س. (1991) عاصفة الصّحراء ومقدّماتها، مطابع النّهضة الوطنيّة، ط1، حائل.

7. القصاب، ع.و. (2013) الغزو وأطروحات المحافظين الجدد لتفتيت العراق، المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات، ط1، الدّوحة.

8. القصّاب، ع.و. (2014) الحرب العراقيّة الإيرانيّة ١٩٨٠-١٩٨٨م، المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات، ط1، بيروت.

9. نايتس، م. (2019) مهد الصّراع، ترجمة قيس قاسم العجرش، مركز الرّافدين للحوار، ط1، بيروت.

مواقع الكترونيّة

1. CNN.com In-depth specials - Gulf War". CNN. 2001

2. إنفوبلاس: مجزرة طريق الموت حرب غادرة خالفت المواثيق الدولية، تم الاسترداد بتاريخ ٨ أيار، 2024م من (https://www.infoplusnetwork.com/news/politics).

3. حسـن، م. (2023) الغزو الأمريكي (قوات التحالف) للعراق «زي النهارده» في 20 مارس 2003م، تم الاسترداد بتاريخ ١٠ أيار، ٢٠٢٤م (https://www.almasryalyoum.com/news/details/3126640).

4. دار الكتب والوثائق العراقية، الفهارس نسـخة محفوظـة 12 يونيو 2018م على موقع واي باك مشين.

5. الغزو الأميركي للعراق مبررات واهية ونتائج كارثية، المصدر: الجزيرة، تم الاسترداد بتاريخ ١٠ أيار، 2024م (https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2016/12/23).

6. فتـزِل، ف. (2024) حرب الحلفاء الأمريكية "العادلة!" عـلى العراق، ترجمة حامد فضل الله / برلين (أوراق ألمانية)، المدائن بوسـت، تم الاسترداد بتاريخ ٨ أيار، 2024م من (https://almadayinpost.com/7639.html).

باللغة الانكليزية

1. Crile, G. (2004) Charlie Wilson's War, Grove press, New York.

2. Joy, G. (2012). Invisible War: the United States and the Iraq sanction.